(١)

الإيمان وأثره في تحقيق السكينة للفرد والمجتمع

الحمد لله رب العالمين، القائل في كتابه العزيز :{مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}، وأَشهدُ أنْ لاَ إلهَ إِلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وأَشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عَبدُه ورسولُهُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وسلِّمْ وبارِكْ علَيه وعلَى آلِهِ وصحبِهِ أجمعين ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بإحسانٍ إلَى يومِ الدِّين ، **وبعـــد** :

فإن من أجل نعم الله تعالى على عباده نعمة الإيمان بالله (عز وجل) ، فهو الطريق الموصل إلى الله تعالى ، وهو ميزان العلاقة بين العبد وربه ، فكلما زاد الإيمان في قلب العبد زادت علاقته بالله (عز وجل) ، قال تعالى:{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ}، والإيمان : هو التصديق الجازم الذي لا يعتريه شك ولا شبهة بأن الله تعالى هو الخالق الرازق ، النافع الضار ، المتصرف في كونه كيف يشاء ، وهو في الحقيقة نور يضيئ جوانب النفس ، وسعادة تغمر القلب ، ويقظة تحيى الضمير .

وقد بين النبي (صلى الله عليه وسلم) حقيقة الإيمان الّذي ينبغي أن يتحقق في قلب المؤمن ، وذلك حينما سأله جبريل (عليه السلام) عن الإيمان ، فقال: (...أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ ، وَمَلَائِكَتِهِ ، وكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ، قَالَ: صَدَقْتَ)، فليس الإيمان مجرد كلمة تقال باللسان ، وإنما هو اعتقادٌ بالقلب ، وإقرارٌ باللسانِ ، وعملٌ بالجوارحِ والأركان ، فالإيمان ما وقر في القلب وصدَّقه العمل باتباع أوامر الله واجتناب نواهيه ، لذلك جاء الإيمان مُقترنًا بالعمل الصالح في

أكثر آيات القرآن الكريم ، لا ينفك أحدهما عن الآخر ، حيث يقول الحق سبحانه : {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}، ويقول سبحانه:{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}، ويقول تعالى:{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}، ويقول (عز وجل) : {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا}، ويقول سبحانه :{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا}، إلى غير ذلك من الآيات التي اقترن فيها الإيمان بالعمل الصالح ، وهذا دليل على أن الإيمان بدون عمل صالح لا قيمة له .

وللإيمان بالله طعم وحلاوة لا يستشعرها إلا أهل الرضا الذين امتلأت قلوبهم بالإيمان ، قال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللَّهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ – صلى الله عليه وسلم– رَسُولًا) ، وقال (صلى الله عليه وسلم) : (ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإيمانِ : أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا ، وَأَنْ يُحِبّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلاَّ للهِ ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ في الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ الله مِنْهُ ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ).

على أن للإيمان شعبًا متعددة ينبغي على كل مؤمن أن يحرص على الالتزام بها ، يقول نبينا (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً ، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّه ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ) ، ولما سأل رجل الحسن البصري (رضي الله عنه) : أمؤمن أنت؟ فقال له: " الإيمان إيمانان ، فإن كنت تسألني عن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والجنة

والنار والبعث والحساب فأنا مؤمن ، وإن كنت تسألني عن قول الله تبارك وتعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} فوالله ما أدري أنا منهم أم لا " .

والإيمان بالله (عز وجل) شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، إذا قويت أصولها وثبتت جذورها ، آتت أكلها وأثمرت الخير العاجل والآجل لصاحبها في الدنيا والآخرة ، فهو نور يقذفه الله تعالى في قلب العبد ، ويورثه الطمأنينة والحكمة ، ويجعله يرى بنور الله (عز وجل) ، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) خَرَجَ يَوْمًا فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ : حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ ، فَقَالَ لَهُ : (كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟) " قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا. قَالَ: " انْظُرْ مَا تَقُولُ ؛ فَإِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً ، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ ؟ " قَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَأَسْهَرْتُ لَيْلِي، وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ عَرْشَ رَبِّي بَارِزًا ، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا . قَالَ : " يَا حَارِثَةُ ، عَرَفْتَ فَالْزَمْ) ، وفي رواية : (أَصَبْتَ فَالْزَمْ ، مُؤْمِنٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ).

وإذا كان الإيمان الصادق يورث صاحبه الأمن والأمان فإنه بذلك يسهم في تحقيق الاستقرار للمجتمع ، قال تعالى:{الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}، وقال (عز وجل) : {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}، ولله در القائل :

إذا الإيمان ضاع فلا أمان *** ولا دنيا لمن لم يحي دينا

ومن رضي الحياة بغير دين *** فقد جعل الفناء لها قرينا

فالإسلام قد أرسى قواعد السلم والأمن والاستقرار ، وذلك لا يتحقق إلا بالإيمان الصادق ، فليس من أخلاق المؤمنين السلب والنهب ، وترويع الآمنين والاعتداء عليهم ، حتى ولو كانوا غير مسلمين ، يقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ ، وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا) ، وقد سئل (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) عن المؤمن فقال: (الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ).

وبالإيمان بالله (عز وجل) يتحقق الود بين الناس ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا}، وبه يكون العبد في معية الله تعالى وعنايته ورعايته فيتولى الله (عز وجل) الدفاع عنه ، فيدفع عنه جميع المكاره ، وينجّيه من الشدائد ، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ }.

والإيمانُ بالله (عز وجل) يهدِي صاحبه إلى كل خيرٍ ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ}، وبه يحيا الإنسان حياة طيبة ، قانعًا بعطاء الله تعالى له ، فلا يفرح بما أوتي من نعمة ، ولا يحزن لفوات رزق ؛ لأن قلبه اطمأن بالإيمان والرضا ، قال تعالى :{ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً}.

وحين يتمكن الإيمان من النفس البشرية فإنها حينئذ تمتلئ بالسكينة واليقين والرضا ، فتسعد في الدنيا والآخرة .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم .

* * *

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا محمد (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

إخوة الإسلام :

إن الإيمان الحقيقي يحقق الاستقرارَ النفسِي والصبر والرضا بقضاء الله (عز وجل)، قال تعالى :{وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ).

وبالإيمان الحقيقي يثبت الله (عز وجل) قلب المؤمن في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، يقول سبحانه : {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ}.

والمتأمل في قصة السيدة هاجر زوج خليل الرحمن إبراهيم (عليه السلام) يجد أن الحق سبحانه وتعالى قد ثبَّت قلبها بالإيمان عندما تركها زوجُها وابنَها الرضيع إسماعيل (عليه السلام) في صحراء مكة حيث لا زرع ولا ماء ، وهَمَّ بالانصراف ، فَقَالَتْ له هَاجَرُ : يَا إِبْرَاهِيمُ ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ وَلاَ شَيْءٌ ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا ، وَجَعَلَ لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا ، قَالَتْ لَهُ : آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَتْ : إِذًا لاَ يُضَيِّعُنَا) ، فيالها من كلمة عظيمة تعبر عن صدق الإيمان والثقة بالله (عز وجل) والاعتماد عليه ، وهكذا يجب على المؤمن أن يكون في كل أحواله متحليًا بالثقة الكاملة واليقين التام في الله (عز وجل) .

ومن آثار الإيمان الحقيقي **أنه يورث صاحبه طمأنينة ووقارًا** ، فتسكن به جوارحه ويجعله صادقًا في أقواله وأفعاله ، ثابتًا في جميع ظروفه وأحواله ، بعيدًا عن كل صور الانحراف والتشدد والتعصب ، محبًّا للخير لنفسه ولجيرانه ، ساعيًا لتحقيق الخير والصلاح لمجتمعه ووطنه.

أما من انحرف بأخلاقه وتصرفاته عن الوجهة الشرعية الصحيحة فهو مدع للإيمان، وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) : (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ).

لذا صرَّح النبي (صلى الله عليه وسلم) بنفي كمال الإيمان عمن يؤذي جاره ، أو من بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم ، فقال (صلى الله عليه وسلم) : (وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، وَاللَّهِ لاَ يُؤْمِنُ ، قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الَّذِي لاَ يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ) ، ويقول (صلى الله عليه وسلم) : (مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانًا وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَى جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ)، فالإيمان الحقيقي هو الذي ينقي صدر صاحبه من الحقد والحسد ، والغل، والغدر والخيانة ، والفساد والإفساد ، وهو الذي يهذب أخلاق صاحبه ويظهر أثره على سلوكه وسائر تصرفاته وحركته في الكون والحياة ، وتعامله مع خلق الله أجمعين ، رحمة بالإنسان والحيوان والجماد ابتغاء مرضاة الله وحده ، قال تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا}.

اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين.